

الترابك اللغوي في مقاصد الخطاب وإشكاليات الترجمة

The Linguistic Superposition in the Intents of Discourse and Translation Issues

* سليمان بن علي - Slimane BENALI

جامعة عمار شليجي - الأغواط، الجزائر

Amar Thelidji University – Laghouat, Algeria

البريد الإلكتروني: s.benali43@yahoo.com

نُشر في: 2025/06/30

قُبِلَ في: 2025/05/25

اُسْتُلِمَ في: 2025/04/24

الملخص

تطرح ظاهرة التراكب اللغوي إشكاليات ترجمية غاية في التعقيد، حيث يتيح الخطاب في لغته الأصل مجموعة من الدلالات المقصودة في سياقها المحدد، منها ما هو صريح ومنها ما هو مضمّر يفهمه المخاطبون في مثل تلك التعابير التراكبية المتصلة بالاستعمال اللغوي لها من جهة، أو بالثقافة اللغوية التي يتمتع بها أصحاب تلك اللغة من جهة أخرى. وهنا قد يجد المترجم نفسه في حيرة أمام هذا التكتيف الدلالي الذي يحاول نقله إلى اللغة الهدف التي قد لا تعينه على ذلك بحسب طبيعتها وطاقاتها التعبيرية أو ثقافة أصحابها اللغوية؛ فيضطر إلى توجيه دلالة الخطاب إلى معنى محدد يطفو على السطح دون غيره من الدلالات الأخرى التي أفادها التعبير في لغته الأصل.

الكلمات المفتاحية: التراكب اللغوي، القصديّة، الخطاب، الترجمة، المعادل.

* المؤلف المراسل: سليمان بن علي

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية / © 2025، المؤلفون. ينشرها: المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر.

نشر هذا المقال بموجب ترخيص المشاع الإبداعي رخصة المشاع الإبداعي غير التجارية والحفاظة للنسب (CC BY-NC) (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.ar>).

ABSTRACT

The phenomenon of linguistic superposition presents highly intricate translation challenges. Within its specific context, discourse in its source language offers a range of intended meanings, encompassing both explicit and implicit layers. These instances of superposition are comprehended by the audience through such superimposed expressions; a comprehension linked to both their linguistic usage and the linguistic culture of the language's speakers. Consequently, translators may find themselves challenged by the semantic density they endeavor to transfer into the target language, which may not adequately facilitate this transfer due to its inherent characteristics, expressive capabilities, or the linguistic culture of its speakers. This often necessitates directing the discourse's meaning towards a specific, prominent interpretation, potentially overshadowing other meanings conveyed by the original expression.

KEY WORDS: Linguistic superposition, intentionality, discourse, translation, equivalent.

* Corresponding author: Slimane BENALI

Journal of Algerian Academy of the Arabic Language / © 2025 The Authors. Published by Algerian Academy of the Arabic Language, Algeria.

This is an open access article under the CC BY-NC (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en>).

- مقدّمة

وُضعت اللغة للتعبير عن أغراض الإنسان ومقاصده المختلفة، عاكسة تصوراتها التي يكونها ومفاهيمه ومشاعره التي ينتجها عن نفسه وعن العالم الذي يحيط به؛ فتحاول اللغة أن تتمثل كل ذلك وأن تحيط به في ذهن المتكلم ووجدانه وتوصله إلى المخاطب حتى يفهم تلك التصورات والمفاهيم ويشعر بتلك الأحاسيس ويتفاعل معها إيجاباً أو سلباً. وقد يلجأ المتكلم إلى تضمين كلامه المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اقتصاداً في الجهد وإيجازاً في الكلام، فينصب القرائن الدالة على ذلك كله بما يسمح به النظام اللغوي في مستوياته المختلفة (معجماً وتركيباً وبلاغة كلام)، بحيث يفهم المتلقي عنه ما يريده من تلك المعاني التي يحملها أو يحتملها الكلام.

وأمام هذا الانفتاح يجد المترجم نفسه ملزماً بنقل كل تلك المعاني والتصورات من اللغة الأصل إلى اللغة الهدف دون تمييز بينها. وهنا تأتي إشكالية هذا البحث، وهي: هل يمكن -في ضوء اختلاف اللغات في خصائصها المعجمية والتركيبية والأسلوبية- أن تفي الترجمة إلى اللغة الهدف بجميع المعاني الممكنة في اللغة الأصل؟ وهل حاول بعض المترجمين فعل ذلك حقاً؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون اختياراً للتعبير عن معنى واحد مما يحمله الكلام في لغته الأصل؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية حاولنا أن نخوض في التعريف بهذه الظاهرة التي سمينها بـ (التركيب اللغوي) إذا كان مقصوداً في الكلام، والنظر في كيفية تعامل المترجمين معها في نقلهم لمعاني القرآن الكريم، وذلك في بحثين: تناولنا في المبحث الأول التعريف بظاهرة التركيبي اللغوي والتأسيس لها بنصوص تعريفية قديمة وحديثة. وتناولنا في المبحث الثاني أنواع التركيبي اللغوي التي أجمالناها ابتداءً في ثلاثة أنواع، هي: التركيبي المعجمي، التركيبي النحوي، والتركيبي البلاغي. محاولين في كل ذلك المعجىء بأمثلة تطبيقية من مختلف ترجمات معاني القرآن الكريم باللغتين الفرنسية والإنجليزية، ومناقشتها في ضوء ما أسسنا له في البحث وهو ظاهرة التركيبي اللغوي في مختلف مستوياته.

- مفهوم التركيبي اللغوي

المقصود بهذا المصطلح أن تتيح اللغة مجموعة من الظواهر اللفظية أو الدلالية: الإفرادية أو التركيبية أو الأسلوبية في التعبير الواحد، فلا تكون الظاهرة الواحدة منها بأولى من الأخرى في فهمنا للخطاب، بل تتوالى على ذهن المتلقي دفعة واحدة (بطريقة تراكبية) دون أن تلغي إحداها الأخرى أو تنفرد بالفهم دون سواها؛ مما يتيح تكثيفاً لغوياً في دلالات الألفاظ، أو في علاقاتها النحوية، أو في ملامحها الأسلوبية. فكأن الدلالات المختلفة يركب بعضها بعضاً فتتراكب (The Principle of Superposition, n.d., p.1) كما تترادف الألفاظ أو التراكيب المختلفة على المعنى الواحد. أي إن كل تركيب يمكن أن يؤدي تكثيفاً دلالياً.

ولنأخذ في تفسير هذا المفهوم الذي طرحناه نصا ورد عند التهانوي -في دلالات الألفاظ مثلا- يذكر فيه مصطلح (ذو المعنيين) ويشرحه بقوله: «هو عند البلغاء أن يكون لفظ مشترك بين معنيين تامين، وأن يكون المعنيان كلاهما أو أحدهما حقيقيا أو مجازيا، وأن يقصدهما المتكلم معا. وأما إذا كان اللفظ المشترك له أكثر من معنى فهو حينئذ ذو المعاني» (التهانوي، 1996، ج.1، ص.835).

ومعنى ذلك أن اللفظ إذا احتمل أكثر من معنى في السياق الواحد وأمكن الجمع بينها فإن ذلك من بلاغة الكلام وبراعته، ومن الإجحاف أن نخصه بواحد منها دون الآخر، وهذا الاعتبار هو الذي سار عليه جمهور العلماء والمفسرين مع كلام الله تعالى بيانا لمقاصده في هذا الجانب، فنجد الطبري -من القدماء- يذكر اختلاف المفسرين في معنى لفظ (الإل) من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8] بأنه: العهد، أو القرابة، أو الميثاق، أو الحلف، أو الله جل جلاله، ليصل إلى أن معنى الآية يقبل الجمع بينها في هذا السياق بقوله: «والإل: اسم يشتمل على معان ثلاثة، وهي: العهد والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضا بمعنى الله. فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى؛ فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهدا، ولا ميثاقا» (الطبري، 1405 هـ ج.10، ص.85). ثم بدأ يستدل بأشعار العرب على معنى القرابة بخصوصه ومعنى العهد بخصوصه في هذا اللفظ.

كما صاغ حبنكة الميداني -من المحدثين- هذه الفكرة التفسيرية في قاعدة من قواعده التدبرية فقال: «والمنهج الأمثل لمتدبر كلام الله هو أن يبقي اللفظة أو الجملة القرآنية على دلالتها الكلية ومعناها الشامل، حتى تدل على كل الجزئيات والأفراد والصور التي يمكن أن تكون مشمولة بها، ما لم يقيم الدليل على التخصيص ببعض هذه الجزئيات أو الأفراد أو الصور دون بعض» (الميداني، 2004، ص.60).

ولعلنا نستأنس في تعريف التركيبي اللغوي هنا بما استجد عند اللسانيين العرفانيين في تناولهم للتركيبي المفاهيمي للمعاني الامتدادية المسمى عندهم بـ (extensional superposition)، حيث يرون أن المعاني الامتدادية قادرة بطبيعتها على التأليف، وأنه من المعقول -والحالة هاته- أن يكون التركيبي هو الوسيط الوحيد الذي يعبر عن الإبداع المفاهيمي. منتقلين في التمثيل لهذا التركيبي المفاهيمي من البسيط إلى المعقد، ومن المعاني المترابطة التي يتضمن بعضها بعضا إلى المعاني التي قد يصعب إيجاد العلاقات بينها إلا بإعمال الفكر أو بضرب من التخيلات العقلية؛ مما يوثق الصلة بين اللغة والفكر.

وسنكتفي في التمثيل لهذا التراكب المفاهيمي بالتراكب البسيط الذي صاغوه وفق المعادلة التالية: لنفترض أن (س) و(ع) مفهومان، وأن $\mathcal{E}$ دالة الامتداد، بحيث تشير (س) $\mathcal{E}$ إلى امتداد المفهوم س، و(ع) $\mathcal{E}$ إلى امتداد المفهوم ع. مع أن (س) و(ع) قد لا يكونان مرتبطين إطلاقاً، فمن الممكن أن يكون لهما حالات مشتركة. على سبيل المثال، إذا كانت س = هدية و ع = قلادة، فقد تكون بعض القلائد هدايا أيضاً. إذا كان الأمر كذلك، فيمكن تكوين مفهوم جديد من خلال التراكب الامتدادي، يحوي المفهومين في نفس الوقت (Thornton, 2021, p.8).

هذا، وليس أمر التراكب بمقتصر على دلالات الألفاظ فحسب، بل قد يقع في مستويات الخطاب المختلفة فنجدّه ضمن دلالات اللفظ التي يتيحها في سياق محدد كما رأينا، بحيث يمكن الجمع بين تلك الدلالات دون تنافر أو تعارض بينها. وهنا نلاحظ أن المشترك اللفظي إنما هو جزء من التراكب اللغوي بمعناه الشامل. وقد يرد في المستوى التركيبي، أو الأسلوبي، كما سنراه. بل يمكن أن يرد التراكب اللغوي جمعا بين مستويين كأن نجده يجمع بين دلالة اللفظ وبعض علاقاته التركيبية أو ملامحه الأسلوبية، أو نجده يجمع بين علاقات التركيب النحوية واللامح الأسلوبية لهذا التركيب. وكل أولئك يحتم على المترجم أن يكون حريصا على عدم التفريط في جانب على حساب الآخر، وعليه في هذه الحال أن يتمثل في ترجمته ذلك التراكب اللغوي الذي يتمتع به الخطاب في لغة الأصل ليحاول نقله بكل أمانة وبكل مستوياته إلى لغة الهدف. وربما يزيد الأمر تعقيدا -عند كثير من المترجمين- إذا كان هذا الخطاب خطابا دينيا يتعلق به جانب مهم من الإعجاز والتشريع كما نجده في القرآن الكريم.

ولعلنا -ونحن نؤسس لمفهوم التراكب اللغوي في جانبه التركيبي أيضا- نشير إلى بعض ما ورد من نصوص عند بعض العلماء تساعدنا في تقريب معناه وتوضيح فحواه. وأول ما يمكننا الاستشهاد به هنا كلام الطاهر بن عاشور حينما قرر في دلالات القرآن أن: «ما تسمح تراكيبه الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب مظنون بأنه مراد لمنزله، ما لم يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية» (بن عاشور، د.ت، ج.1، ص.94). ومعنى ذلك أن الآية الواحدة من خلال تركيبها وطريقة تأليفها يمكن أن تحمل تكثيفا دلاليا لمجموعة من المعاني المقصودة التي لا تعارض بينها كما سنبينه في الأمثلة التطبيقية.

وسنجد ضمن هذا التراكب اللغوي في شقه النحوي (التركيبي) احتمال الكلمة الواحدة أكثر من وجه إعرابي - (مع أن الحركة الإعرابية واحدة) - من مفعولية (كالمفعول المطلق أو المفعول لأجله...) أو حالية أو غيرها، مما يحتمله السياق في الجمع بينها، وهو ما سيتضح عند الحديث عن هذا الجانب تطبيقيا. بل إننا ندعي أن التراكب اللغوي قد يمس معاني الحروف والكلمات والجمل التي تفيد معاني يمكن الجمع بينها في السياق الواحد إذا لم يكن هناك ما يمنع ذلك، وكذا بعض القضايا البلاغية كالمحسنات اللفظية أو المعنوية التي تستفاد أسلوبيا من الخطاب البليغ؛ مما يجعل أمر الترجمة (أي ترجمة كذا وكذا، في مقابل كذا أو كذا) أكثر صعوبة في استقطاب جميع الدلالات والتعبير عنها كما هي في القرآن الكريم.

ولنا على إدراك بعض البلاغيين العرب للجمع بين المعاني في التحليل الدلالي لبلاغة الكلام، ومعاملة مجموع الكلام معاملة الكلام الواحد في المعنى، مثال عبد القاهر الجرجاني في توجيهه لفعل الشرط في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: 112]، حيث يقول: «وذلك أنك ترى، متى شئت، جملتين قد غُطفت إحداهما على الأخرى، ثم جعلنا بمجموعهما شرطاً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى، لأننا إن قلنا إنه في كل واحدة منهما على الانفراد، جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين، وليس معنا إلا جزاء واحد. وإن قلنا إنه في واحدة منهما دون الأخرى، لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط، وذلك ما لا يخفى فساد». [36]

ثم إننا نعلم من طريق المعنى أن الجزاء الذي هو احتمال البهتان والإثم المبين، أمر يتعلق بإيجابه لمجموع ما حصل من الجملتين، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد، ولا لرمي البريء بالخطيئة أو الإثم على الإطلاق، بل رمي الإنسان البريء بخطيئة أو إثم كان من الرامي، وكذلك الحكم أبداً، فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 100] لم يعلق الحكم فيه بالهجرة على الانفراد، بل بها مقروناً إليها أن يدركه الموت عليها» (الجرجاني، د.ت، ص.ص 245-246).

بل إننا نذهب بعيداً في أمر هذا التركيبي اللغوي عموماً، وذلك بأن يفتح الحرف أو الكلمة أو التعبير العام (جملة أو نصاً أو خطاباً) على مجموعة من المعاني والدلالات التي لا يمكن الجمع بينها في السياق الواحد (فنكون أمام كذا أو كذا)، فتتيح للمفسرين أن يختاروا منها ما يتوافق مع الحكمة التي يرونها مناسبة لكلام الشارع الحكيم، أو مع ما تصل إليه أذهانهم بحسب مناهج التفكير عندهم، وهو مما يمثل إشكالية ترجمة أيضاً، إذ قد يتعذر في كثير من الأحيان إيجاد معادل ترجمي (حرفاً كان أو كلمة أو تعبيراً) في اللغة الهدف يتيح لنا ذلك الانفتاح الدلالي الذي وجدناه في النص العربي، فيتحتّم على المترجم اختيار وجه واحد من الدلالة لينقله إلى اللغة الثانية؛ فلا يسمح لمن يطلع على ترجمته بذلك الثراء في الانتقاء والاختيار من تلك المعاني والدلالات المتاحة وإمكانية المفاضلة بينها.

ويمكننا مبدئياً أن نقسم أنواع التركيبي اللغوي بوجه عام إلى: تراكم معجمي، تراكم نحوي، وتراكب بلاغي. وهو ما سنوضحه بالأمثلة التطبيقية هنا:

أ. التراكب المعجمي

نبدأ في هذا النوع من التراكب الدلالي بكلمة (الفصل) التي وردت في المعاجم العربية بمعنيين: أحدهما التفريق بين شيئين بحاجة، فهو قطع بينهما في الصلة، ومنه الفاصلة بمعنى الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وعقد مفصل: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة. والثاني القضاء بين الحق والباطل (ابن منظور، د.ت، ج. 11، ص. 521).

ولعل اختيار القرآن استعمال الفعل (يفصل) في بعض السياقات إنما هو لتأدية المعنيين معا كما في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الْمُتَحَنَّة: 3]، فلم يورد القرآن اللفظتين (يقضي أو يحكم) مثلا أو لفظ (يفرق)، لأنه لو أورد إحدى هذه الألفاظ لما احتمل غير معناها الذي يؤديه لفظها. وحتى يؤدي المعنيين معا – كما أرى - اختار اللفظ الذي يحتملها، أي: القضاء (أو الحكم) بينهم يوم القيامة، وكذلك التفريق بينهم؛ وهذا من التراكب الدلالي المتعلق بالكلمات وما قد يؤديه اللفظ من المعاني التي يمكن الجمع بينها كما هو حاصل في هذه الكلمة، رغم ما قد يفهم عند أكثر المفسرين من أن معنى (يفصل بينكم) في هذه الآية هو التفريق بينهم، أي: بأن يدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معاصيه والكفر به النار ((الطبري، 1405هـ ج. 28، ص. 61)). ونحن نرى أن هذه النتيجة التي هي التفريق بين أهل الجنة وأهل النار ناجمة عن الحكم على الفئة الأولى بالجنة وعلى الفئة الثانية بالنار؛ فشمل الفصل معنى الحكم والتفريق بينهم معا، وهذا أوفق لاختيار هذه اللفظة (يفصل) دون (التفريق) أو (الحكم)، وعلى هذا الأساس قال الراغب: «هذا يوم الفصل، أي: اليوم يبين الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم، وعلى ذلك قوله: يفصل بينهم، وهو خير الفاصلين» (الأصفهاني، 2009، ص. 638). وذهب ابن عاشور بكل صراحة إلى تخصيص هذا اللفظ هنا بمعنى التفريق والأولى كما ذكرنا أن يعم المعنيين لأنهما حاصلان معا في ذلك اليوم.

وإذا رجعنا إلى تعامل المترجمين مع معنى هذه الكلمة في هذا السياق وجدنا بعض الترجمات الفرنسية ارتضت معنى الحكم والقضاء، كترجمة مالك شبالي التي جاء نصها كما يلي: (... car [Allah] jugera entre vous) (Chebel, 2013, p.45). بينما ذهب أغلب الترجمات إلى معنى التفريق أو التقسيم أو القطع بينهم بتعبيرات مختلفة هي: (Séparer) و(Départager) و(Trancher). كما نجد بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم يأخذ بدلالة (التفريق-Separate)، وبعضها الآخر يأخذ بدلالة (الحكم-Judge)، فنجد ممن ارتضى المعنى الأول: أحمد زكي حماد (Hammad, n.d, p.970)، ومحمد عبد الحليم (Abdel Haleem, 2004, p.368)، وطلال (Itani, 2012, p.292). بينما أخذ بالمعنى الثاني كل من تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان (Khān & Al-Hillālī, 1994, p.754)، وعبد الله يوسف علي (Yūsuf Ali, 1989, p.1729)، وترجمة المنتدى الإسلامي (Al-Muntada al-Islami, 2012, p.563). بل ذهب شير علي (Sher 'Ali, 2021, p.823) إلى معنى اتخاذ القرار-decide (وهو الحكم أيضا). فهل يعني هذا أن المترجمين لم يجدوا كلمة في الفرنسية أو الإنجليزية تصلح لحمل المعنيين معا؛ فاستأنس كل مترجم بالمعنى الذي ارتاح إليه أو الذي وجدته عند أغلب المفسرين فاقتصر عليه؟

ويمكننا أن نمثل لهذا النوع من التراكب أيضا بما رأيناه أنفا من اختلاف المفسرين حول لفظ (الإل) في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْفُؤُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التَّوْبَة: 8]. فقد ذكر القرطبي عن مجاهد وابن زيد أن (الإل) هو العهد، وعن مجاهد أيضا أنه اسم من أسماء الله عز وجل. وعن ابن عباس والضحاك أنه القرابة، والذمة هي العهد. وعن الحسن أنه الجوار. وعن

قتادة أنه الجلف. وعن أبي عبيدة أنه العهد، والذمة التذمم. ثم علل القرطبي لمن فسّر الإل والذمة بالعهد جميعاً بأنه تكرير لاختلاف اللفظين (القرطبي، 1372هـ، ج. 8، ص. 69-70). ورأينا -فيما سبق- كيف أن الطبري أجاز إرادة هذه المعاني جميعاً في هذه الآية، وأن المعنى: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرابة، ولا عهداً، ولا ميثاقاً. فعوض أن يذكر القرآن الكريم كل هذه المعاني بالفاظها الخاصة بها جمعها في لفظ واحد يكتنفها كلها في هذا الموضع، فهل وجد المترجمون لفظاً في اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية يمكنه أن يؤدي كل هذا الثراء الدلالي في كلمة (الإل)؟ أم أنهم اكتفوا بنقل معنى واحد من المعاني المختلفة التي وجدوها مبثوثة في كتب التفسير؟

عندما نتتبع ترجمات معاني القرآن الكريم لهذا اللفظ في هذه الآية نجد المترجمين اختلفوا كما اختلف المفسرون، باعتبار أن المترجم مفسر لكلام ما بلغة أخرى في وجه من الوجوه، ومعنى ذلك أن كل مترجم حاول أن ينقل المعنى الذي اطمأن إليه أو الذي رآه مناسباً في فكره أو الذي وجدته عند أكثر المفسرين.

فنجد معنى القرابة في ما نص عليه بو بكر حمزة وكشريد في ترجمتهما بـ: (lien de parenté) (Hamza, 1989, p.161; Kechrid, 2003, p.161/1), وكما هي عند حميد الله وزينب عبد العزيز بـ: (parenté) (Hamidallah, 1989, p.254; Abdelaziz, 2009, p.198), بينما نجد معنى الجلف (alliance) عند ماسون (Masson, 1980, p.225)، ومعنى الميثاق (pacte) عند مالك شبّال (Chebel, 2013, p.152)، ومعنى العهد (engagement) عند صادق مازيغ (Mazigh, n.d., p.353).

أما جاك بيرك فكانما عرف أن أحد هذه المعاني لا يغني عن غيره فاختر أن يأتي بلفظ عام يشمل جميع الروابط الممكنة مما نص عليه المفسرون، فجاء بلفظ الروابط (liens) بمعناها العام (أي روابط كانت) حتى تشمل عنده القرابة والعهد والحلف... إلخ. فكانت ترجمته كما يلي: [Ils ne respectent en vous ni liens ni obligations] (Berque, 1990, p.199). وهو -وإن حاول- الإحاطة بجميع أقوال المفسرين إلا أن اللفظ الذي اختاره لا يعبر بدقة عما يراد بكلمة (الإل) في اللسان العربي، فهي لا تشمل جميع الروابط الممكنة، بل روابط محددة بالعهد والقرابة والحلف والربوبية كما هو معهود كلام العرب في ما رأيناه.

ولم تكن الترجمات الإنجليزية بأكثر حظاً من الترجمات الفرنسية في وجوه الاختلاف، فقد اعتمد بعضها على معنى القرابة (kinship) (Itani, n.d., p.92)، وبعضها على أي رابط (any bond) (Hammad, n.d., p.310)، وبعضها على أي رابط للعلاقة (any tie of relationship) (Sher 'Ali, 2021, p.258)، وبعضها حاول الجمع في اللفظ بين العهد والقرابة فجعلها: أي عهد للقرابة (any pact of kinship) (Khān & Al-Hillālī, 1994, p.171; Al-Muntada al-Islami, 2012, p.44)، كما حاول بعضها الآخر -كترجمة يوسف علي- أن يستدرك في الهامش معنى العهد، فبعد أن اختار في ترجمته روابط القرابة (the ties either of kinship). قال في الهامش: «إلى جانب رابطة القرابة، كان هناك رابط آخر هو يمينهم

المعقود في المعاهدة. لقد نقضوا هذا اليمين لأن الأطراف الأخرى كانت مسلمة» (Yūsuf Ali, 1989, p. 499)، فقد أدرك أن متن ترجمته لم يف بحق الآية من المعاني المقصودة فأراد استدراك ذلك في الهامش، ومعنى ذلك أنه لو وجد كلمة في الإنجليزية تؤدي المعنيين (القراءة والعهد) لاختارها في ترجمته لمعنى كلمة (الإل).

ب. التركيبي النحوي

يختلف معربو القرآن الكريم في بعض الأحيان في إعرابهم للكلمات القرآنية بسبب احتمال التركيب الذي وقعت فيه لعدد من العلاقات النحوية، وتكون المعاني محمولة على تلك الوجوه الإعرابية المحتملة، رغم أن حركة الإعراب واحدة. غير أن الخصوصية هنا في هذا العنوان أنها تكون متراكبة بعضها فوق بعض دون تنافر أو تضارب. وذلك كأن تأتي الكلمة مرفوعة فيحتمل رفعها عددا من الأبواب النحوية التي تحيل على معان مختلفة يسمح بها هذا الوجه الإعرابي (الرفع)، مع ملاحظة قبول السياق لتلك المعاني مجتمعة دون تدافع أو تناقض، فيكون اختيار تلك الكلمة في ذلك الموقع وبذلك الوجه الإعرابي مقصودا به -في البلاغة القرآنية- تكثيف الدلالة بأوجز عبارة؛ فيقع الإعجاز بالإيجاز.

وهذه الظاهرة الإعرابية شبيهة بالمشارك اللفظي إذا أريد به جميع أو بعض ما يحتمله من المعاني في السياق ذاته كما ذهب إليه بعض العلماء في القديم والحديث، وكما قرره الطاهر بن عاشور في تفسيره بقوله: «والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني، سواء في ذلك اللفظ المفرد والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية، محضة أو مختلفة» (بن عاشور، د.ت، ج.1، ص.99). وهو ما يفتح لنا الباب لنقيس عليه الجمع بين المعاني المختلفة التي يحتملها وجه الإعراب إذا أمكننا ذلك.

ولعل خير مثال على ذلك ما نجده من اختلاف في إعراب لفظ (رحمة) من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. فقد جاء في وجوه إعرابها أنها يمكن أن تكون (العكبري، 2001، ج.2، ص.215؛ السمين الحلبي، 1994، ج.5، ص.117؛ درويش، 1992، مج.6، ج.16، ص.372؛ الزرقاني، 1996، ج.8، ص.387):

- مفعولا لأجله: أي: أرسلناك لأجل الرحمة، و(للعالمين) متعلق به، أي: لترحم بك العالمين، بهدايتك إياهم لسعادة الدارين.

- أو حالا من الكاف في (أرسلناك): بأن جعله نفس الرحمة، أو بمعنى راحما (أو رحيمًا)، ولا يتعلق للعالمين بـ (أرسلنا): لأن ما قبل (إلا) لا يعمل في ما بعدها إلا في الاستثناء المفرغ.

- أو على حذف مضاف تقديره: ذا رحمة.

وكل هذه المعاني مجموعة فيه صلى الله عليه وسلم، فقد أرسله الله لأجل الرحمة لا لأجل العذاب، ووصفه سبحانه بأنه رؤوف رحيم، وهو نفسه رحمة مهداة كما ورد في بعض الآثار: إنما أنا رحمة مهداة (ابن كثير، 2001، ج.3، ص.205). وقد احتملت كلمة الرحمة بنصبها في هذا السياق جميع هذه المعاني التي دل عليها المفعول لأجله أو الحال بوجوهه المختلفة.

وقد ترجم معناها جاك بيرك: [Nous ne t'avons envoyé que par miséricorde] (Berque, 1990, p.350)، أي: ما أرسلناك إلا برحمة، وترجمها ماسون: [Nous t'avons seulement envoyé comme une miséricorde] (Masson, 1980, p.407)، أي: أرسلناك فقط كرحمة، أو إلا كرحمة (...que comme...) كما هي عند مازينغ وكشريد وحמיד الله، وترجمها أبو بكر حمزة بـ: [Nous ne t'avons envoyé qu'à titre de miséricorde] (Hamza, 1989, p.1038)، أي: ما أرسلناك إلا بعنوان الرحمة (أو باسم الرحمة).

وليس في هذه الترجمات ما يُحمل على معنى المفعول لأجله، أي: إلا لأجل الرحمة. (... que pour ...) وحتى لو اختارها بعضهم ترجمة لمعنى الآية فإننا في هذه الحالة نكون أمام اختيار وجه واحد في الترجمة، لأننا لا نجد -كما هو في الآية- تركيباً نحويًا يحتمل عدداً من المعاني بحسب إمكانيات هذا التركيب الدلالية؛ فيظهر الفرق بين الآية وترجمات معانيها. وقد حاولت زينب عبد العزيز أن تحافظ على نظم الآية، وأن لا توجه الدلالة بأنه إرسال بالرحمة أو كالرحمة كما فعل السابقون، فجاءت ترجمتها على النحو التالي: [Et Nous ne t'Envoyâmes que Miséricorde] (abdelaziz, 2009, p.413).

وتكاد الترجمات الإنجليزية لمعنى هذه الآية تُجمع على (...as mercy...) (Khān & Al-Hillālī, 1994, p.945)، أي: ما أرسلناك (أيها النبي أو يا محمد) إلا كرحمة، فكأن التقدير على الحالية دون الغائية في المفعول لأجله. وهناك شبهة بهذه الآية ولكنها تأخذ وظيفية واحدة (وهي الحالية)، ولكنها بتقديرات مختلفة على المصدرية للمبالغة، أو على معنى (ذو الشيء) على النسبة، أو على معنى اسم الفاعل، وهو ما نجده عند السمين الحلبي في تفسيره لموقع (هدى) في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، فقد قال: «قوله: "هدى" في محل نصب على الحال من القرآن، والعامل فيه "أنزل" وهدى: مصدر، فيما أن يكون على حذف مضاف أي: ذا هدى أو على وقوعه موقع اسم الفاعل أي: هاديا، أو على جعله نفس الهدى مبالغة» فهو مصدر على التأويلات الدلالية المختلفة التي هي نفس الهدى، أو نائبا عن هاديا، أو ذا هدى، وكلها مرتبطة بحالة الإنزال لهذا القرآن.

وقد أخذ بعض الترجمات بالخبرية في هذا اللفظ دون الحالية (هو هدى) فجاءت ترجمة ماسون: [C'est une direction] (Masson, 1980, p.34)، و(الذي هو هدى) ترجمته زينب عبد العزيز: [Qui est une direction] (Abdelaziz, 2009, p.88). وبعضها على الغائية (المفعول لأجله) كترجمة أبي بكر حمزة: [Pour servir de bonne direction]

(Hamza, 1989, p.114)، بينما جعلها جاك بيرك، وصلاح الدين كشريد، ومالك شبّال، على الحالية، فكانت عند الأول:
[En tant que guidance] (Berque, 1990, p.50)، وعند الثاني (Kechrid, 2003, p.25) والثالث (Chebel, 2013, p.35):
[Comme bonne direction].

ولعل الذين اختاروا في ترجماتهم وصف الهدى بلفظ جيد (bonne direction) أرادوا معنى المبالغة الذي فهمناه من كلام السمين الحلبي. وربما هذه المبالغة هي التي يسميها علماء العربية -وهم يشرحون دلالة التنوين في بعض كلمات القرآن- بدلالة التفخيم والتعظيم التي تؤديها النكرة في بعض السياقات.

ج. التراكب البلاغي

ونعني به وجود عدد من القضايا البلاغية (اللفظية أو المعنوية) التي نستفيد منها من العبارة الواحدة أو الكلمة الواحدة في اللغة العربية، وقد لا تسعفنا اللغة المستهدفة في التعبير عن جميع هذه السمات البلاغية الموجودة في الأصل العربي، ولنا في ذلك مثال قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝﴾ [المُدَّثِّر: 9 - 10]، فبالإضافة إلى وجود الطباق الذي يمثل تضادا معنويا بين (عسير، يسير)، نجد تجانسا صوتيا بين الكلمتين (الفاصلتين القرآنيتين) سواء في الحرف الأخير أو في إيقاع الكلمة عل (فعيل)؛ مما يسمح بإضفاء مسحة صوتية وإيقاعية بين الآيتين، وهو ما يمثله الجنس الناقص بين (عسير) و(يسير)؛ فإذا عدنا إلى بعض ترجمات معاني القرآن الكريم نجد أبا بكر حمزة يترجم معنى الآية بـ: [Ce jour-la sera un jour pénible, peu facil pour les mécréants] (Hamza, 1989, p.2/p.1930)، فقابل بين (pénible) و(facil). وقابل مازيغ بين (rigoureux) و(sans aménité) (Mazigh, n.d., p.1105). وقابل جاك بيرك بين (malaisé) و(peu propice) (Berque, 1990, p.645)، وقابل كشريد بين ((très dur)) و(nullement aisé) (Kechrid, 2003, p.672)، بينما قابل حميد الله -بكل بساطة- بين (difficile) و(facile) فحافظ على التضاد بين المعنيين مع ما بينهما من تجانس صوتي تقريبي، غير أن هذا التجانس لم يخدم البنية الإيقاعية كما رأيناها في الفاصلة القرآنية، لأن ترجمة حميد الله جاءت على النحو التالي: [alors, ce jour-la sera un jour difficile, pas facile aux mécréants] (Hamidallah, 1989, p.672). ولو قدّم وأخر لكان أقرب إلى ترجمة هذا التراكب البلاغي الذي لاحظناه بين (عسير ويسير) في اللغة العربية وفي القرآن الكريم)، كأن يقول -إن صح هذا التعبير- مثلا: [un jour difficile, aux mécréants pas facile]، وهذا التقديم والتأخير الذي اقترحه ربما لا تقبله اللغة الفرنسية؛ فنكون أمام أحد التشويهات التي يذكرها بعض المنظرين لفن الترجمة، وهو التشويه بالتقديم والتأخير، مثله مثل التشويه بالزيادة، والحذف، وعدم التطابق بين الوحدات الإفرادية والتركيبية، كأن يأتي في النص كلمة مفردة وننقلها إلى اللغة الهدف بتركيب كامل، أو العكس.

وفي بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن نجد التقابل بين (Hard day) و (easy) أو بين (difficult) و (easy) أو بين (distressful) و (easy) أو بين (anguish) و (easy) أو بين (Distress) و (easy) وغيرها من الكلمات التي تفتقر إلى ما رأيناه من تراكم بلاغي بين الطباق والجناس في اللفظتين القرآنيتين (عسير) و (يسير).

- خاتمة

رأينا في تناولنا لظاهرة التراكب اللغوي كيف تمظهر في عدد من المستويات (المعجمية والتركيبية والبلاغية) سواء في الجانب اللفظي للكلام أو الجانب الدلالي. كما توقفنا على عدد من نصوص المفسرين وكيفيات تناولهم لهذه الظاهرة في تفسيرهم للآيات التي تجسدت فيها هذه الظاهرة؛ لنصل في الأخير إلى عرض الأعمال الترجمية التي تناولت ترجمة معاني الآيات التي مستها ظاهرة التراكب اللغوي في شقها اللفظي أو الدلالي.

وقد وجدنا اختلافاً بين مترجمي معاني القرآن الكريم في التعامل مع هذه الظاهرة، فمنهم من اقتصر على معنى بعينه، ومنهم من حاول أن يواكب التعبير القرآني في حمل مختلف الدلالات ولكن اللغة الهدف (الفرنسية أو الإنجليزية) لم تساعد على ذلك فاكتمت بالإشارة إلى المعاني المختلفة التي لم ترد في متن ترجمته في الهامش.

- الملاحظات

¹ يمكن مقارنة هذا المصطلح بهذا المفهوم في العلوم التجريبية بالمصطلح الأجنبي (Superposition)، حيث يكون للإلكترون الواحد طاقتان مختلفتان في اللحظة نفسها. ويمكن اعتبار أي حالة نتيجة لتراكب حالتين أو أكثر.

- المراجع

* المراجع باللغة العربية

1. ابن كثير. (2001). تفسير القرآن العظيم. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية.
2. بن منظور. (دون تاريخ). لسان العرب. دون طبعة. دار صادر.
3. الأصفهاني، ر. (2009). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: داوودي، ص. ع. الطبعة 4. دار القلم والدار الشامية.
4. بن عاشور، م. ط. (دون تاريخ). تفسير التحرير والتنوير. دون طبعة. دار سحنون للنشر والتوزيع.
5. التهانوي، م. (1996). كشف اصطلاحات الفنون. تحقيق: دحروج، ع. الطبعة 1. مكتبة لبنان ناشرون.
6. الجرجاني، ع. (دون تاريخ). دلائل الإعجاز. تحقيق: شاكر، م. م. دون طبعة. مكتبة الخانجي.
7. درويش، م. (1992). إعراب القرآن الكريم وبيانه. الطبعة 3. دار الإرشاد.
8. الزرقاني، م. (1996). شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. تحقيق: الخالدي، م. ع. الطبعة 1. دار الكتب العلمية.
9. السمين الحلبي، أ. (1994). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: معوض، ع. م. وآخرون. الطبعة 1. دار الكتب العلمية.
10. الطبري، م. (1405 هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر.
11. العكبري، ع. (2001). التبيان في إعراب القرآن. دار الفكر.
12. القرطبي، م. (1372 هـ). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: البردوني، أ. ع. الطبعة 2. دار الشعب.
13. الميداني، ع. (2004). قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل. الطبعة 3. دار القلم.

* المراجع باللغة الأجنبية

14. Abdel Haleem, M. A. S. (2004). The Qur'an. Oxford University Press.
15. Abdelaziz, Z. (2009). The Qur'an (Translation of the Meanings). No edition.
16. Al-Muntada Al-Islami. (2012). The Meanings of the Qur'an in English. No edition.
17. Berque, J. (1990). Le Coran. Sindbad.
18. Boubakeur, H. (1989). Le Coran. ENAG/Éditions.

19. Chebel, M. (2013). Le Coran (Version électronique 1.1). www.lenoblecoran.fr.
20. Hamidallah, M. (1989). Le Saint Coran. Amana Corporation.
21. Hammad, A. Z. (n.d.). The Gracious Quran. 2nd edition.
22. Itani, T. (2012). The Quran. Clear Quran Dallas.
23. Kechrid, S. (2003). Alquran alkarim (Traduction et notes). 7th edition. Dar al-Gharb al-Islami.
24. Khān, M. M., & Al-Hillālī, M. T. (1994). Interpretation of the Meanings of the Noble Qur'an. Maktaba Dar-us-Salam.
25. Masson, D. (1980). Essai d'interprétation du Coran Inimitable. Dar Al-Kitab Al-Masri et Al-Kitab Al-Lubnani.
26. Mazigh, S. (n.d.). Le Coran. Maison Tunisie de l'Édition.
27. Sher 'Ali, M. (2021). The Holy Qur'an. Islam International Publications Ltd.
28. Thornton, C. (2021). Extensional superposition and its relation to compositionality in language and thought. Cognitive Science, 45. Wiley Periodicals LLC on behalf of the Cognitive Science Society (CSS).

Romanization of Arabic Bibliography

1. Ibn Kathīr. (2001). Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm. al-ṭab'ah al-thānīyah. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
2. Ibn Manẓūr. (dūn tārikh). Lisān al-'Arab. dūn ṭab'ah. Dār Ṣādir.
3. al-Aṣḥānī, R. (2009). Mufradāt Alfāẓ al-Qur'ān. taḥqīq: Dāwūdī, Ṣ. 'A. al-ṭab'ah4. Dār al-Qalam wa-al-Dār al-Shāmiyyah.
4. Ibn 'Āshūr, M. Ṭ. (dūn tārikh). Tafsīr al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr. dūn ṭab'ah. Dār Sahnūn li-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
5. al-Tahānawī, M. (1996). Kashshāf Iṣṭilāḥāt al-Funūn. taḥqīq: Daḥrūj, 'A. al-ṭab'ah1. Maktabat Lubnān Nāshirūn.
6. al-Jurjānī, 'A. (dūn tārikh). Dalā'il al-l'jāz. taḥqīq: Shākir, M. M. dūn ṭab'ah. Maktabat al-Khānījī.

7. Dirwīsh, M. (1992). I'rāb al-Qur'ān al-Karīm wa-Bayānu-h. al-ṭab'ah3. Dār al-Irshād.
8. al-Zurqānī, M. (1996). Sharḥ al-Zurqānī 'alā al-Mawāhib al-Ladunniyyah bi-al-Minaḥ al-Muḥammadiyyah. taḥqīq: al-Khālīdī, M. 'A. al-ṭab'ah1. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
9. al-Samīn al-Ḥalabī, A. (1994). al-Durr al-Maṣūn fī 'Ulūm al-Kitāb al-Maknūn. taḥqīq: Ma'wāḍ, 'M. wa-ākharūn. al-ṭab'ah1. Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.
10. al-Ṭabarī, M. (1405h). Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āy al-Qur'ān. Dār al-Fikr.
11. al-'Akbarī, ' (2001). al-Tibyān fī I'rāb al-Qur'ān. Dār al-Fikr.
12. al-Qurṭubī, M. (1372h). al-Jāmi' li-Aḥkām al-Qur'ān. taḥqīq: al-Bardūnī, 'A. al-ṭab'ah2. Dār al-Sha'b.
13. al-Maydānī, ' (2004). Qawā'id al-Tadabbur al-Amthal li-Kitāb Allāh 'Azza wa-Jall. al-ṭab'ah3. Dār al-Qalam.